المحاضرة رقم:02

إعجاز المفردة القرآنية وعلاقتها بالمظاهر الكونية.

انطلاقا من أن الإعجاز اللغوي يهتم بإبراز إعجاز المفردة القرآنية، من حيث شكلها ومضمونها وغاياتها"[1]، فإن الأمر بالنسبة للمفردة القرآنية على ثلاثة أوجه:

- الأول: شكلها؛ وهو كل ما له علاقة بمظهرها صوتيا وصرفيا وإعرابيا.
- الثاني: مضمونها؛ وهو المعنى الذي تحمله ولا يمكن للفظة أخرى تأديته في السياق مهما كان قربها منها.
- الثالث: غايتها؛ وتتحق بأمرين: أولهما هو الوفاء بحاجة النفس الإنسانية، كونها وازنت بين عقل المخاطب وعاطفته. والآخر؛ أنها أعجزت الثقلين[2].

إن المتدبر للقرآن يلمس إعجاز المفردة القرآنية سواء في جرسها أو في بنائها أو في إعرابها أو في موقعها من السياق، كما أن " كل مفردة وضعت وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب، وإن الحذف من المفردة مقصود، كما أن الذكر مقصود، وإن الإبدال مقصود، كما أن الأصل مقصود، وكل تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غرضه"[3]، وفيما يلي نماذج لما سبق ذكره:

01-الذكر والحذف:

الحذف قد يكون في بنية المفردة ذاتها، وذلك بحذف حرف أو أكثر من حروفها، وقد يكون بحذف المفردة كلها، فأما الأول فأمثلته كثيرة في القرآن الكريم، ومنها:

- **(تنزّل/ تتنزّل)**

الأولى في قوله ﷻ: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [4]، والثانية في

[1] – ينظر: العيد حِذِّيق، جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، ص: 37.

2 – ينظر المرجع نفسه، نفس الصفحة.

3 – فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط:02، 2006، ص: 04.

4 – القدر، الآية: 04

قوله ﷻ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

قال في الآية الأولى:**(تنزّل)** بحذف إحدى التاءين؛ ذلك أن السياق على ليلة واحدة وهي ليلة القدر والملائكة تنزل مرة واحدة فحذف التاء؛ ليتناسب الفعل مع الزمن.

أما في الآية الثانية فقال: **(تتنزل)**؛ فلأن السياق على الوفيات وفي كل يوم بل في كل لحظة تصل الوفيات والملائكة تتنزل عليهم لتثبتهم وتبشّرهم فجاء بالفعل كاملا دون حذف؛ ليناسب بين الفعل والزمن[2].

- **(توفّاهم/ تتوفّاهم)**

الأولى في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾[3]، والثانية في قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءِۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4]،

في الآية الأولى كانوا مستضعفين وظالمي أنفسهم وهم قليل، فقال **(توفّاهم)**، أما في الآية الثانية، فهم ظالموا أنفسهم ولم يكونوا مستضعفين وهم كثير وهم عموم الظالمين، فقال: **(تتوفّاهم)**، فهؤلاء المستضعفين في الآية الأولى هم قسم من الظالمين وليس كلهم فهم أقل[5].

- **(نبغ/ نبغي)**

الأولى في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[6]، والثانية في قوله ﷻ: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ ﴾[7]،

---

1 – فصلت، الآية: 30.

2 – ينظر: فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص:10.

3 – النساء، الآية: 97.

4 – النحل، الآية: 28.

5 – ينظر: فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص: 11

6 – الكهف، الآية: 64.

7 – يوسف، الآية : 65.

الحدثان يختلفان، الذكر والحذف متعلقان بالمقام؛ ففي الآية الثانية جاء إثباتُ الياء على الأصل، وذلك لبيان أنَّ ذلك هو غاية ما يريدونه ويطلبونه، فالطّعامُ الذي أحضروه من مصر هو المُراد لذاته، فناسبَ كمالُ تمام الحرف، كمالُ تمام الغاية...

و أمّا في الأولى فلم يكن فقدانُ الحوتِ هو الغاية والهدف الرئيس، لأنَّ غايته هي الالتقاء بالخضر، فكان الفقدانُ وسيلةً لا غاية، فناسبَ نقصانُ تمامِ الحرف، نقصانُ تمام الغاية... و كلُّ هذا عُبّر عنه بإثباتِ حرفٍ وحذفه[1].

وأما الحذف المتعلق بالمفردة كلها فهو مبحث من مباحث علم النحو كما أنه أيضا من مباحث علم المعاني في البلاغة، وفيه من الدقة والجمال ما جعل علماء البلاغة يتحدثون عنه مبينين سر جماله في موقعه.

و الحذف من العناصر التي تزين اللغة وتقويها، وتزيد المعنى جمالاً، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ): « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[2]، ويقول عنه أيضا:«...فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه. وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به»[3] .

ومن الأمثلة عن جمال هذا الفن – الذكر والحذف – في القرآن الكريم، قول الله ﷻ في سورة الصافات:﴿وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾[4]، وقوله في موضع آخر من نفس السـورة:﴿ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴾[5]. فالله عز وجل ذكر الضمير "هم" مع " أبصر " في الآية الأولى ولم

[1] – ينظر: فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص: 21.

2 – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 131.

3 – المصدر نفسه، ص : 135.

4 – الصافات، الآيتان: 175.

5 – الصافات، الآيتان: 179.

يذكره معها في الآية الثانية. « قالوا: وسبب ذلك أن الأولى كانت بسبب نزول العذاب بهم يوم بدر وما حل بهم من قتل وأسر، فلما تضمنت المعركة ما تضمنت من قتل صناديد قريش وأسرهم، وشفاء صدور المؤمنين، قال: "وأبصرهم".

وأما الثانيــة فكانت في يوم فتــح مكة، وليس فيه قتل ولا أسر، وإنما هو هداية ورحمة، ثم إن فتــح مكة كان فتحا لجزيــرة العرب ولذا أطلق فقال: " وأبصر" لأنه ليس مختصا بأهل مكة كما كان في بدر. فلما كانت وقعة بدر خاصة بأهل مكة وقد حل عليهم العذاب وحدهم قال: " أبصرهم"، ولما كان الفتح ليس فيه قتل جماعة ولا أسر وكان أثره عاما أطلق فقال:" وأبصر" »[1].

ومن ذلك أيضا قوله ﷻ: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[2]، ففي هذه الآية الكريمة، قال الله تعالى: " قلى " ولم يقل: " قلاك " مراعاة للفاصلة القرآنية[3]، و « في ذكر ضمير المخاطب في التوديع تكريم لرسول الله ﷺ، بخلاف القلى، فالتكريم في حذف الضمير وعدم كون الخطاب مباشرة للرسول ﷺ، فأكرم ﷺ بالذكر وبالحذف »[4].

وأما عن مواقــع الحذف، فقد يحذف الأول لدلالـة الثاني عليه، ومثاله قول اللهﷻ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[5] في قراءة من رفع "ملائكته " أي: أن الله يصلي فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه وليس عطفا عليه. وقد يعكس، كقولهﷻ:﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[6]، أي: ويثبت ما يشاء.

وقد يحتمل اللفظ الأمرين، كقولهﷻ:﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [7]، فقد قيل: إن "أحق" خبر عن اسم الله تعالى، وقيل بالعكس.

---

1 – فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص:90 –91.

2 – الضحى، الآية: 03.

3 – ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج:03، ص: 190.

4 – راشد بن حمود الثنيان، عادات القرآن الأسلوبية، ص: 112.

5 – الأحزاب، الآية:56.

6 – الرعد، الآية :39.

7 – التوبة، الآية:62.

وهناك نوع من الحذف يكون مرتبطا بالتقابل يطلق عليه البلاغيون اسم " الاحتباك "، في اصطلاح البلاغيين، «مأخذ هذه التسمية من الحبْك الذي معناه الشد والأحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الثوب وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق.

وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج من الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حابكا له، مانعا من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق»[1].

وأما إذا ارتبط الاحتباك بالتقابل، فمعنى ذلك: « أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه، كقوله: علفتها تبنا وماء باردا ، أي: علفتها تبنا، وسقيتها ماء باردا »[2].

والسيوطي يذكر عن الأندلسي أنه في شرحه للبديعية ذكر أن الاحتباك نوع غزير، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وفي الثاني ما أثبت نظيره في الأول[3].

ومن أمثلته في القرآن الكريم، قول الله ﷻ:﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾[4]، حيث يتشكل التقابل فيه من طرفين، وكل طرف من مقابلين، فالأصل: " إن افتريته فعلي إجرامي **وأنتم براء منه**، **وعليكم إجرامكم** وأنا بريء مما تجرمون". والأمثلة من هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم ويمكن الوقوف عندها في مضانها[5].

---

1 – جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القران، ج:01، ص: 323 .

2 – علي الجرجاني، كتاب التعريفات، ص: 26.

3 – ينظر: المصدر نفسه، ص: 139.

4 – هود، الآية:35.

5 – للمزيد يمكن النظر في: بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ط:01، 2006م، ج:03.

02-المفردة القرآنية وظواهر الكون:

إذا ما جال المرء بناظريه في هذا الكون الفسيح، وجد أنه مبني على مبدأ التقابل بين الأشياء، فهو ماثل في الطبيعة، وفي جميع الكائنات الحية من إنسان ونبات وحيوان، يقول اللهﷻ: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

والتقابل في النص القرآني يقع بين معانيه كما يقع بين ألفاظه، وهو بين الألفاظ يزيدها لذة وإثارة، وبين المعاني يزيدها قوة ووضوحا، كما يضفي عليها روعة وجمالا، فحازم القرطاجني يرى أن " للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراهما تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد. وكذلك حال القبح. وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشدّ تحريكا لها. وكذلك أيضا مثول الحسَن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليا عن الآخر لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا"[2].

والتقابل كثير في القرآن الكريم، لا تكاد تخلو سورة منه، ومن عجيب ما توصل إليه ممن خص نفسه بتتبع الإعجاز العددي في القرآن الكريم، أن وجد أنّ الألفاظ المتقابلة متساوية في عدد ورودها فيه سواء كانت منفردة أو مجتمعة، ومن أمثلة ذلك أنه:

"- تكررت الدنيا في القرآن الكريم 150 مرة...وتكررت الآخرة نفس العدد أي 150 مرة...رغم أنهما لم يجتمعا في أكثر من حوالي 50 آية ...

- تساوى عدد مرات ورود لفظ الشيطان وعدد مرات ورود لفظ الملائكة في القرآن الكريم، فقد تكرر لفظ الشيطان 68 مرة ...وتكرر لفظ الملائكة 68 مرة أيضا...

1- الذاريات، الآية:49.

2- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 44- 45.

– تكرر لفظ الحياة في القرآن الكريم 71 مرة ...ونفس العدد قد تكرر به لفظ الموت..."[1].

تصوير القرآن الكريم للظواهر الكونية:

يحفل القرآن الكريم بالتصوير الحسي لكثير من الظواهر الكونية، وهذا مما يظهر قدرة الله ﷻ ويقوي الإيمان به، ومن ذلك:

– الليل والنهار:

عرض القرآن الكريم لمشاهد كثيرة صور فيها اقتران الليل والنهار في سياق يبين الله فيه أثر نعمة الله عز وجل على عباده من تعاقب الليل والنهار، فلولا تعاقب الليل والنهار لفسدت حياة الناس.

ومن هذه المشاهد التي يجسد الله تعالى فيها الليل والنهار، قوله ﷻ:﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾[2]؛ جاء في تفسير البحر المحيط « والتكوير: تطويل كل منهما على الآخر، فكأن الآخر صار عليه جزء منه... وقال الزمخشري: وفيه أوجه، منها: أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا. وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف على اللابس اللباس. ومنها: أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه، فشبه تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه من مطامح الأبصار. ومنها: أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا، فشبه ذلك بتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض»[3].

وقوله ﷻ أيضا: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [4]، وهذه علامةٌ على كمال قدرة الله عز وجل؛ الليلُ يزيل عنه الضوء ويفصله عن النهار فإذا المشركون داخلون في الظلام، وفي الآية رمزٌ إلى أن الأصل في الكون هو الظلام والنور عارض، فإذا غربت

1– عبد الرزاق نوفل، الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ج1، د ط، 1989م، ص: 15- 19-25.

2 – الزمر، الآية: 05.

3 – أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج:07، ص: 399.

4 – يس، الآية: 37.

الشمس ينسلخ النهار من الليل ويُكشف ويزول فيظهر الأصل وهو الظلمة[1]، وقد صور الله عز وجل إخراج النهار من الليل بإخراج الشاة من جلدها،« فمفعول " نسلخ " هنا هو " النهار " بلا ريب، وعدي السلخ إلى ضمير " الليل " بـ (من) فصار المعنى: الليل آية لهم في حال إزالة غشاء نور النهار عنه فيبقى عليهم الليل، فشبه النهار بجلد الشاة ونحوها يغطي ما تحته منها كما يغطي النهار ظلمــة الليل في الصباح. وشبــه كشف النهار وإزالته بسلخ الجلد عن نحو الشاة فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده...»[2].

<u>الشمس والقمر:</u>

من الآيات التي تتقابل فيها الشمس والقمر في تصوير بديع، قول الله ﷻ:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[3]، وهنا شبه الشمس بالسراج، « والكلام جار على التشبيه البليغ لأن حقيقة السراج: المصباح الزاهر الضياء. والمقصود: أنه جعل الشمس مزيلة للظلمة كالسراج، أو خلق النجوم كالسرج في التلألؤ وحسن المنظر»[4].

ومن ذلك أيضا، قوله ﷻ:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾[5]، فقد وصف الله عز وجل الشمس بأنها تجري، « والجري حقيقته: السير السريع وهو لذوات الأرجل، و أطلق مجازا على تنقل الجسم من مكان إلى مكان تنقلا سريعا بالنسبة لتنقل أمثال ذلك الجسم،... وأريد به السير في مسافات متباعدة جدّ التباعد فتقطعها في مدة قصيرة بالنسبة لتباعد الأرض حول الشمس»[6]. وشبه القمر بالعرجون القديم، «وعبر عنه بهذا التشبيه إذ ليس لضوء القمر في أواخر لياليه اسم يعرف به

1 – ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج:03، ص:14.

2 – محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج: 23، ص: ص:18.

3 – الفرقان، الآية: 61.

4 – محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج: 19، ص:64.

5 – يس، الآيتان: 38، 39.

6 – محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج: 23، ص: 19.

بخلاف أول أجزاء ضوئه المسمى هلالا، ولأن هذا التشبيه يماثل حالة استهلاله كما يماثل حالة انتهائه. و"عاد" بمعنى صار شكله كالعرجون القديم»[1].

السماء والأرض

ذكر الله عز وجل لفظتي " السماء " و " الأرض " مجتمعتين في القرآن الكريم في ستة وسبعين موضعا، منها اثنان وسبعون موضعا تقدمت فيه " السماء " على " الأرض "، وأربعة مواضع فقط تقدمت فيها "الأرض" على "السماء"[2]، ويبقى السياق الذي ترد فيه الآيات من بين أهم الأسباب لهذا التقديم.

ومن بين المواضع التي تقدمت فيها "الأرض" عن "السماء"، قول الله تعالى:﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾[3]، وقد قدم لفظ " الأرض" عن " السماء " لأجل كلام تقدَّمَ تعلَّقَ المذكور به أولا – الأرض– ، وهذا المتقدم هو خطاب لأهل الأرض وعملهم يكون في الأرض[4]، وذلك هو قوله ﷻ:﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾[5].

ومنها أيضا، قوله ﷻ:﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[6]. فمن روعة البيان وجمال التناسب في هذه الآية الكريمة، أنّه « قال:" يلج" ولم يقل "ما يولج "،وقال: " يَخرج" لم يقل:" ما يُخرج"، وقال: " يَنزل"

---

1 – المرجع نفسه، ص: 22.

2 – ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص:445، وما بعدها.

3 – يونس، الآية:61.

4 – ينظر: ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص:84.

5– يونس، الآية:61.

6 – الحديد، الآية: 04.

ولم يقل: " ما يُنزل "، وقال: " يَعرج" ولم يقل:" ما يُعرج "، وهذا أدل على العلم لأن الفرد يعلم في العادة ما يفعله هو ولكنه يجهل ما لم يفعله هو، أما ربنا فقد أخبر عن نفسه أنه يعلم ما يلج وما يخرج وما ينزل وما يعرج، وهذا أدلّ على العلم. وقدم ما يلج في الأرض على ما يخرج منها، وقدم ما ينزل من السماء على ما يعرج فيها، فقدم ما ينزل وما يلج وأخر ما يخرج وما يعرج، ذلك أن كثيرا مما ينزل من السماء قد يلج في الأرض ثم يخرج بعد ذلك من الأرض ما يخرج بسببه أو بغيره من الأسباب كالنباتات والينابيع وغيرها، فالولوج قد يكون سببا للخروج... وبدأ بالأرض وأخر السماء لأن السياق في الكلام على أهل الأرض وهو قولــه: " وَهُوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنتُم وَٱللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِير" وهي مسكنهم»[1].

1 – فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج:1. ص: 243.